يد العون

في اليابان والهند، امرأتان تخوضان معترك الحياة

بيتر لانغان وريما نانافاتي

تتخذ الحماية الاجتماعية أشكالا مختلفة. ففي اليابان، وهي من الاقتصادات المتقدمة، نجد أن المتقاعدين أمثال توشيكو تانيوشي سيمثلون خمسي السكان بحلول منتصف القرن. وتظل تانيوشي نشطة ومستقلة في حياتها بفضل معاشها من الحكومة ومساعدة أسرتها. وعلى عكس ذلك في الهند الفتية، تشتغل معظم العمالة في القطاع غير الرسمي، دون حماية اجتماعية من الدولة. وكانت أسرة جيتونبيبي شيراجبهي شيخ تواجه مصاعب في كسب قوت يومها حتى انضمت إلى جمعية نسائية لصاحبات العمل الحر، مما ساعدها على بدء مشروع خاص بها. وكما يتبين من قصة هاتين المرأتين، فإن الحماية الاجتماعية لا تقي الأفراد من تقلبات الحياة وحسب، وإنما هي أيضا تساعدهم على الاستفادة إلى أقصى حد من إمكاناتهم، بما يعود بالمنفعة على أسرهم ومجتمعاتهم المحلية والمجتمع كله.

النشاط الدائم في اليابان

شاركت توشيكو تانيوشي في المعجزة الاقتصادية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية في اليابان، حينما ساعد السكان المتزايدة أعدادهم على دعم التوسع السريع في الناتج. وكانت تدير حانوتا في طوكيو بينما تتولى تربية ثلاثة أطفال. واليوم، تقاعدت تانيوشي، وتبدل الحال. إذ صارت شيخوخة السكان وتقلص أعدادهم عبئا على النمو الاقتصادي.

وتبلغ تانيوشي الآن ٧٩ عاما، وتعيش مع ابنها وأسرته منذ أن توفي زوجها قبل عدة سنوات مضت. ويساورها قلق من أن تصبح عبئا على أسرتها، لذا فهي تسعى جاهدة لكي تظل محتفظة بلياقتها وصحتها. وتقول «إنني أمارس الرياضة وأحتفظ بنشاطي لكي أحاول ألا أثقل كاهل أبنائي». وهي كذلك تزور أخصائي علاج طبيعي للتعافي من عملية جراحية في ظهرها. وتقول «لحسن الحظ، هناك حافلة تتوقف على بُعد عشر دقائق سيرا على الأقدام من مركز إعادة التأهيل، والمشي لتلك المسافة القصيرة يساعدني على الاحتفاظ بلياقتي».

وتتبع تانيوشي جدولا صارما، فتبدأ يومها بممارسة الرياضة من خلال متابعة برنامج إذاعي في الساعة السادسة والنصف صباحا. وتذهب إلى الكارايوكي ثلاث مرات في الشهر، وإلى درس فن الخط أول سبت من كل شهر، ودرس الرسم في الثلاثاء الثالث من الشهر، وتدريب الغولف الأرضي — وهو نوع من ألعاب الكروكيه — مرة في الأسبوع. وتشارك كذلك في فعاليات مجتمعية، مثل التدريبات على التعامل مع الكوارث المحلية وحملات تنظيف الحي.

وتذكر «إنني أحاول المشاركة في هذه الأنشطة وأمارس الرياضية لأتجنب الإصابة بالعته. وأحرص على ممارسة أنشطة مختلفة بدلا من مجرد الجلوس لمشاهدة التلفاز، وتنظيف المنزل وغسل الثياب».

ومن المعروف أن اليابان تضم أكثر سكان العالم تقدما في السن، ووفق تقديرات الحكومة، ارتفعت نسبة السكان في أعمار ٦٥ عاما وأكبر إلى حوالي ٢٧٪ من سكان اليابان البالغ عددهم ١٢٧ مليون نسمة، مقابل ٩٪ في ١٩٨٠. وتشير التنبؤات إلى أن نسبة كبار السن سترتفع إلى حوالي ٤٠٪ بحلول عام ٢٠٥٠.

وهذا التحول الديمغرافي يفرض ضغوطا على اليابان لتحسين الإنتاجية وزيادة أعداد القوى العاملة، وهو ما يمكن تحقيقه بانضمام مزيد من النساء والعمالة الأكبر سنا إلى سوق العمل. ووفق التقرير القُطْري عن اليابان الذي أصدره صندوق

الصورة: DEAN MITCHELL; PHOTO: ISTOCK / JAMIELAWTON

توشيكو تانيوشي

الصورة: SEAN LANGAN

النقد الدولي في يوليو ٢٠١٧، سوف يتطلب الأمر القضاء على الأسباب المثبطة للعمل في وظائف منتظمة بدوام كامل ويقتضي التوسع في توفير دور رعاية الأطفال وكبار السن لتخفيف أعباء الواجبات المنزلية عن كاهل سائر أفراد الأسرة.

وُلِدت تانيوشي في فوكوشيما، وهي مقاطعة تبعُد بما يزيد على ساعتين بالسيارة شمال شرق طوكيو، وتشتهر بأنها مكان متميز لتسلق الجبال وبوجود حمامات عيون «أونسين» الساخنة التي ترجع لقرون بعيدة. انتقلت تانيوشي إلى طوكيو عام ١٩٥٤، حيث تزوجت وفتحت محل بقالة. واليوم، تشترك في منزل ذي ثلاثة طوابق مع ابنها، وهو موظف، وزوجته وأبنائه. وتؤجر الطابق الأرضي لشركة محلية.

وتعيش تانيوشي حياة اجتماعية نشطة، فتساعد أصدقاءها لكي يتجنبوا الوحدة والعُزلة اللتين هما سبب معاناة كثير من اليابانيين كبار السن. فوفق مسح أُجري على مستوى البلاد في شهر أغسطس، ذكر حوالي ١٥٪ من الرجال فوق الخامسة والستين من العمر و٥٪ من النساء أنه قد يمر عليهم أسبوعان دون التحدث إلى أي أحد. وقال ما يزيد على ٣٠٪ من الرجال و٩٪ من النساء في الفئة العمرية نفسها إنه ليس لديهم أي شخص يعتمدون عليه في حياتهم اليومية.

وتقول تانيوشي «إذا وجدت نفسي بمفردي في المنزل، أحب الخروج لزيارة أصدقائي الذين يمكثون بمفردهم أيضا». وقامت مؤخرا بزيارة صديقة لها قعيدة تعتمد على الكرسي المتحرك ولا تستطيع مغادرة منزلها. ووجدت أن صديقتها لم تحادث أحدا طوال اليوم.

وتثير مصادر الحصول على المال قلق كثير من كبار السن في اليابان، كما هو حال سائر الفئات العمرية. ومن بين أولئك الذين أجابوا على المسح الوطني قائلين إن ظروف حياتهم صعبة نوعا ما، أو صعبة، أو صعبة للغاية، تألفت أكبر مجموعة منهم من الذين يبلغون الأربعين من العمر، ونسبتهم ٣٨٪. وجاء بعدها من هم في الستينات من العمر، ونسبتهم ٣٧٪.

ومستوى نفقات تانيوشي مرتفع، فعليها سداد أقساط التأمين الطبي، والتأمين ضد الحريق، وسداد الرهن العقاري لمنزلها، التي لا يكفي دخلها من تأجير الطابق الأرضي في منزلها لتغطيتها.

وتقول «أستطيع برغم ذلك أن أغطي نفقاتي بالكاد في ظل ظروفي الحالية، بفضل مساعدة أبنائي لي».

بيتر لانغان صحفي حر مقره طوكيو. وشغل في السابق منصب رئيس مكتب بلوومبرغ نيوز في طوكيو.

تتبع تانيوشي جدولا صارما، فتبدأ يومها بممارسة الرياضة من خلال متابعة برنامج إذاعي في الساعة السادسة والنصف صباحا.

قصة امرأة تحيك الثياب

تمارس جيتونبيبي شيراجبهي شيخ عملا غير رسمي من منزلها، وهي من مدينة أحمد آباد في ولاية غوجارات غرب الهند، وقد تزوجت وهي في الثامنة عشرة من عمرها. وفي ذلك الوقت، كان زوجها هو العائل الوحيد للأسرة، ويكسب أقل من ١٨٥٠ روبية (٢٥ دولارا) في الشهر من الاشتغال في أعمال متقطعة. وكانت أسرة جيتونبيبي تتكون من ستة أفراد يعتمدون على دخل زوجها، فكان لحياتها اليومية متطلبات كثيرة وواجهت مصاعب كبيرة.

ثم ساءت الأوضاع بعد إصابة أم زوجها بمرض السل، ونظرا لعدم وجود تأمين صحي، اضطرت الأسرة لرهن بعض ممتلكاتها القليلة، بما فيها مجوهرات الزفاف، لسداد تكاليف العلاج. ونظرا لعدم امتلاك الأسرة أصولا كبيرة، لم تتمكن من الحصول على قرض من بنك رسمي، واضطرت جيتونبيبي

نساء مصطفات لتقديم طلبات مختلفة إلى بنك النساء التعاوني التابع للجمعية النسائية لصاحبات العمل الحر.

الصورة: WILLIAM ALBERT ALLARD

أن تستدين من مقرضين محليين بأسعار فائدة عالية بلا مبرر — مما أدخلها وأسرتها في حلقة مفرغة من الدين والفقر.

وقصة جيتونبيبي ليست فريدة من نوعها. فما يزيد على ٩٠٪ من القوى العاملة الهندية تعمل في القطاع غير الرسمي، أكثر من ٥٠٪ منهم يعملون في الزراعة والقطاعات وثيقة الصلة بها، وأكثر من ٢٠٪ يعملون في قطاعي الصناعات التحويلية والخدمات الرخيصة. وتتعرض فرص العمل في الاقتصاد غير الرسمي للتغير المستمر بسبب المنافسة الضارية، واتجاهات السوق، وتغير السياسات الاقتصادية. إذن، بات من الشائع أن يسعى العاملون غير الرسميين للحصول على أكثر من فرصة عمل. فالبائع الجوال صباحا قد يعمل ليلا في لف البيدي (نوع رخيص من السيجار الهندي) وصانع طائرات ورقية في فترة مهرجان الطائرات. ونادرا ما يحصل أي عامل في القطاع غير الرسمي على أي نوع من التأمين أو الرعاية الصحية أو خدمات رعاية الطفل أو يستفيد من الخدمات المصرفية الرسمية. والافتقار إلى الحماية الاجتماعية هو إحدى العقبات الرئيسية التي تحول بين هؤلاء العاملين وبين الإفلات من غلبة الدين والفقر، والعيش حياة طيبة كريمة.

وذات يوم، قامت إحدى جارات جيتونبيبي بتعريفها على الجمعية النسائية لصاحبات العمل الحر، وهو اتحاد عمالي يضم أكثر من ١,٥ مليون امرأة عاملة ذات دخل منخفض وتعمل في القطاع غير الرسمي. وتشجع هذه الجمعية أعضاءها على العمل وكسب العيش والحصول على الضمان الاجتماعي بتقديم قروض مباشرة وتسهيل الحصول على التأمين الصحي، والتأمين على الحياة، والتأمين على المنازل، وتأمين محاصيل العمالة في الريف، وخدمات أخرى. وتضم هذه الجمعية في عضويتها نساء يعملن فيما يزيد على ١٢٥ نشاطا، مثل الحائكات، وجامعات القمامة، والبائعات الجوالات، والعاملات من المنازل، والعاملات في تربية الحيوانات، وصاحبات الحرف المختلفة.

وانضمت جيتونبيبي إلى الجمعية وسرعان ما فتحت حسابا في المصرف التابع للجمعية وبدأت تدخر ٥ روبيات (٠,٧ دولارا) في الشهر. ثم سجلت أبناءها في مركز رعاية الطفل التابع للجمعية وانضمت إلى برنامج لتعليم الحياكة. وحصلت بعد ستة أشهر على قرض بقيمة ١٠ آلاف روبية (١٣٥ دولارا) وبدأت مشروع الحياكة الخاص بها من منزلها. وما بدأ بعمل إصلاحات بسيطة وتعديلات للملابس تطور إلى حياكة القمصان والسراويل القصيرة والسترات، وملابس أخرى. ولم يمض وقت طويل حتى بدأت تكسب ١١ ألف روبية (١٥٠ دولارا) في الشهر، كما كانت تحيك ملابس جاهزة من إنتاجها.

الآن وقد بلغت جيتونبيبي ٥١ عاما، أصبحت تمتلك مشروع الحياكة الخاص بها منذ ما يزيد على عشر سنوات. وأصبحت أسرتها تكسب أكثر من ٥٥ ألف روبية (٧٥٠ دولارا) شهريا. وعندما كانت تعمل في القطاع غير الرسمي، كانت هي وأسرتها عرضة للمصاعب اليومية وتقلبات الحياة صعودا وهبوطا، لا يستطيعون الاعتماد على دخل ثابت أو وضع خطة لمستقبلهم. واليوم، أصبحت تدير مشروعا مزدهرا، ولديها تأمين صحي، وتأمين على الحياة، والأهم من ذلك، تأمين للمنزل الذي يغطي مكان عملها ومصدر دخلها. والخلاصة هي أن جيتونبيبي استطاعت أن تخرج من أسر دائرة الفقر. FD

ريما نانافاتي مدير الجمعية النسائية لصاحبات العمل الحر في مدينة أحمد آباد الهندية.